ماذا يحدث خلف أ

.. ما يزالون غير مقتنعين ببقائهم هناك .. ويصرون على تنفيذ رغباتهم البعيدة عن مصالحهم التي يجهلونها.

طلاب في بداية سن المراهقة يتركون المدارس خلف ظهورهم ويولون وجوههم شطر البوفيات المجاورة ومقاهي الانترنت وأرصفة الشوارع ، حيث الحرية المطلقة بعيدا عن أعين المدرسين ورقابة أولياء الأمور يشترون الاهمال بالأحاديث المطولة ويفرغون طاقاتهم في غير أماكنها.

إنهم بذلك يرسمون مستقبلاً غير واضح المعالم، مليئاً بالغموض تسيطر عليه البقع السوداء والرمادية.. وفي الغد القريب سيجني المجتمع ثمارهم المرة إذا لم يلتفت اليوم وفي وقت مبكر لمعالجة هذه المشكلة التي أصبحت أشبه بالعادة لكثرة انتشارها.

على أبواب المدارس قرأنا الكثير من القصص التي اعترف بها مدراء مدارس وعارضها بعض المدرسين. لهم طقوسهم البعيدة عن أسوار المدرسة .. رسموها في غفلة من الأهل والمدرسين والإدارة .. واعتادوا عليها حتى صار لها من القداسة ما يجعل تعطيلها شيئا غريبا ومستبعدا ويستحق السؤال والمحاسبة.

● محمد وسامي وعبد القادر وأسعد وآخرون يتركون مدرستهم بعد الراحة أو الفسحة كل بطريقته ليلتقوا عند إحدى البوفيات القريبة من المدرسة ليتناولوا إفطارهم . هم لايحرصون على الوقت والإسراع في تناول الإفطار لأنهم يعرفون أنهم لن يعودوا إلى المدرسة بل سيواصلون رحلتهم اليومية التي تنتهي بمقهى الانترنت الذي يقع في الشارع الثاني من مدرستهم.

يقول صاحب البوفية: هناك الكثير من الطلاب الذين يأتون عند الراحة ليتناولوا إفطارهم ثم يعودون إلى المدرسة.

وهناك من يظل هنا إلى أن ينتهي اليوم الدراسي ويعود مع زملائه.. مالك البوفية قال إن الأمر يصبح عاديا وأن الغريب أن لاتجد طلابا فارين من فصولهم، لكنه أشار إلى أن الأعداد تكثر في الأيام الأخيرة ويرجع ذلك إلى إضراب المدرسين، في الفترة الأخيرة زاد عدد الطلاب المهملين الذين يفرون من مدارسهم أو لا يحضرون من الصباح وقد يرجع ذلك إلى الإضراب الذي حدث فتعود الطلاب على الإهمال.

صاحب البوفية الذي قال أنه أحيانا يتخيل بأن الدراسة قد انتهت وقت الفسحة لكثرة الطلاب الذين يمرون من أمام البوفية في الطريق المعاكس للمدرسة .. هؤلاء الطلاب لايعودون إلى مدارسهم بعد انتهاء وقت الفسحة بل يذهبون إلى أماكن أخرى.

فمن الطبيعي أن لايعودوا إلى بيوتهم لأنهم سيصطدمون بسؤال عن سبب العودة المبكرة ولذلك يجب عليهم أن يجدوا مكانا يصرفون فيه ما تبقى من الساعات حتى وقت العودة إلى المنازل .. هذه الأماكن في الغالب تكون قريبة من المدرسة من حيث الموقع أو هكذا اعتقد لأنني وجدت الكثير من التجمعات الطلابية بجوار المدارس أثناء الدوام.

عناء السؤال

● من الغباء أن تسأل الطلاب عن سبب بقائهم في الخارج أثناء الدوام الرسمي لأنك ستجد إجابات لاترغب بسماعها ولن استطيع كتابتها هنا، ربما كان ألطفها وأكثرها احتراما (مشو عليك).

وإذا ما فكرت في التجوال بالقرب من أي مبنى مدرسي خاص بالأولاد فحاول أن تركز في تصرفات مجاميع الطلاب الواقفين خلف الأسوار أو عند أبوابها أو في البوفيات القريبة منها.. وإذا أردت أن تكتشف أشياء أخرى لا تلفت انتباهنا ونحن نمر من أمامهم فعليك بالاقتراب منهم ومحاولة الإصغاء إلى أحاديثهم لتكتشف أن الوضع غير طبيعي وأن هناك كارثة تنتظر هؤلاء الطلاب إذا لم ينتبه المجتمع لمستقبلهم وحاول الأخذ بأيديهم ، وفي البداية محاربة هذه الظاهرة التي يجهلها الآباء وتسكت عنها المدارس فتحولت من حالات إلى ظواهر ومن ظواهر إلى عادات.

تمر علينا كل يوم دون أن نوليها أي اهتمام باعتبار هذه التجمعات شيئا طبيعياً لكني جازفت باقتحام تجمعات طلابية بسؤالي المزعج عن سبب بقائهم خارج المدرسة أثناء الدوام.

في أول تجمع كانوا واقفين فيه بباب مدرسة الحمزة حين سألتهم عن اسم المدرسة ثم عن الدراسة ولماذا ليسوا في الفصل خاصة والساعة تشير إلى التاسعة صباحا.. في البداية أجابوا على اسئلتي التي تستفسر عن المدرسة والدراسة لكنهم تركوني بعد أن صوبوا إليّ نظرات الشك عندما كان السؤال يخصهم . ذهبوا في سبيلهم الخطأ وبقيت أنا أبحث عن فارين آخرين كانوا جالسين إلى بوفية قريبة من المدرسة لم يكونوا يتناولون أي شيء بل كان هناك حديث ما أوقفوه عندما لاحظوا اقترابي منهم وعلى شفتي كلام أريد توجيهه لهم.

هذه المجموعة كانت أكثر ظرفا من سابقتها طرحت عليهم اسئلتي المستفزة فردوا علي بإجابات لاتخلو من الطرافة حيث أجاب أحدهم عن عدم حضورهم الحصة بقوله: (مدرس المادة توفى ونحن الآن نقرأ عليه سورة «يس» وندعو له بالمغفرة بعد أن سامحناه).. جرى سيل من الضحك على إجابته، حاولت مجاراتهم في الطرافة لكني اكتشفت أنني فقدت قدرتي على الفكاهة، وبعد إعادة السؤال رد أحدهم بإجابات غير مقنعة .. كان اهمها أن مدرس المادة لايقدم شيئا في الفصل وأنه محط سخرية الطلاب ويعجز عن ضبط الفصل ولذلك يفضلون ترك الفصل خيرا من (الهدار الفاضي).

كما قال أحدهم: هؤلاء الطلاب قالوا انهم يحضرون كل الحصص الدراسية باستثناء حصص هذه المادة وقال أحدهم قبل أن اتركهم: (لاتفكر أننا طلاب مهملين ، نحن طلاب متميزين ونحصل على درجات عالية)، وأكمل زميله (بس الظروف جاءت هكذا).

أحاديث مشفرة

● ربما كانوا صادقين في ما قالوه وربما يكونون غير ذلك لكن النتيجة واحدة (طلاب فارين من قاعة الدرس).

على مقربة من مدرسة سيف كان يقف مجموعة من الطلاب عندما كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة لم يكونوا بأعداد كبيرة لكنهم يتجاوزون العشرة طلاب.. كان يقف ثلاثة منهم إلى جوار باب المدرسة المغلق وكانوا يتحدثون عن أفلام وسيديهات وحين شعروا أنني أسترق السمع سكتوا فجأة ثم تركوا المكان.

طلاب آخرون تحدثت إليهم عن سبب بقائهم خلف السور فأجابوا بأن الباب مغلق لكن زميلا لهم قال: (لا يا استاذ تقدر تدخل لو حبيت بس إحنا ما نشتيش نحضر واحنا مريعين لواحد ونرحل)، لا أدري كم رحل قبلهم من الطلاب لكن المؤكد أنهم ليسوا المجموعة الأولى التي خرجت والدليل على ذلك أن هناك طلابا كانوا يخرجون من باب المدرسة أثناء وقوفي، لم تكن الحصة قد انتهت كما لم يكن هناك خروج جماعي لكل الطلاب وهذا يدل على أن هناك طلابا يتسللون من فصولهم أثناء الحصة أو يطردهم مدرسوهم وقد يفتعل الطلاب مشاكل من أجل ترك الفصل أو طرح أي عذر المهم أن يكونوا خلف الأبواب (طبعا من الخارج) يحلقوا في فضاء الاهمال الذي لم يجد له أحد حلا إلى هذا الوقت .. فبعض إدارات المدارس تعترف بعجزها عن القضاء على هذه الظاهرة وتحاول القيام بكل ما لديها من وسائل الترهيب والترغيب خاصة بعد أن صدرت توجيهات من الوزارة بمنع إغلاق أبواب المدارس في وجوه الطلاب المتأخرين عن الدوام الرسمي واللجوء إلى معاقبتهم بأساليب أخرى تركت الوزارة الخيار فيها لإدارات المدارس، غير إن هذه الوسائل لم تكن ذات جدوى ولم تستطع القضاء على هذه الظاهرة أو مجرد الحد منها.

المدرسون يرفضون تحمل المسؤولية والمدراء يجمعونهم من البوفيات

طلاب يحملون مدرسيهم تركهم للفصول أثناء الحصص الدراسية

اعتراف مدرسين

● مدرسون اعترفوا بمسؤولية زملائهم عن إهمال الطلاب وعدم الحضور إلى الفصول واعتبروا إهمال المدرسين وعدم ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على التحكم بالفصل هو وراء ترك بعض الطلاب لمقاعدهم والهروب إلى مقاعد البوفيات ومقاهي الانترنت.

المدرس عبدالجبار عبدالله قال: (بصراحة أنا أحمل المدرسين مسؤولية إهمال الطلاب وهروبهم من الفصول الدراسية لأنهم قادرون على ضبط الفصل والدراسة لكن هناك تساهلا من قبل بعض المدرسين).

عبدالجبار وصف الحالة باللا مبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية وأنهم محاسبون على مستوى كل طالب. وظل يسهب في الحديث عن صفات المدرس وكيف يجب أن يكون قدوة وقادرا على التحكم بتصرفاته والمحافظة على هيبة التدريس و(كاد المعلم أن يكون رسولا).

ويوافقه الرأي محمد السلامي الذي استشهد على حقيقة ما طرحه من مسؤولية المدرسين المهملين عن ضياع الطلاب وتركهم الفصول أثناء الدوام الرسمي بقوله: (إذا أردت أن أثبت لك أن المدرس هو المسؤول الأول على هروب الطلاب فسأضرب لك مثلا واحدا فهنا مدرس لا يحضر حصصه نصف العدد من الطلاب بينما يحضر العدد كاملا في الحصة التي تلي حصته مباشرة .. فقط لأن مدرس المادة الثانية يثق كثيرا بنفسه وقادر على فرض هيبته واحترامه أمام الطلاب ويشعر بالمسؤولية بالإضافة إلى قدرته على معاقبة الطلاب المهملين بالطريقة التي يخافون منها).

طرح منطقي .. فالذي يجعل الطالب حريصا على الالتزام هو الخوف من العقوبة وحضور المدرس وقدرته على جعل الفصل منطقة مقدسة لا يجب الاستهتار بها ولا في وقت الحصة ، ولكن هنا الطرح يمكن أن يكون قاعدة على الجميع ثم لايستطيع المدرسون اللجوء إلى إدارة المدرسة إذا عجزوا هم عن معاقبة الطلاب .. ربما يؤمن اولئك المدرسون الذين لايهتمون كثيرا لالتزام الطلاب بالمقولة (التعليم لمن يريد والشهادة للجميع) لكنهم سيجدون أنفسهم في يوم ما محاطين بالإهمال ولن يكون مصيرهم بعيدا عن مصير الطلاب الذين كانوا هم سببا في ضياعهم خاصة وإدارات المدارس وبعض المدرسين يعرفون دور هؤلاء في ضياع الطلاب وإهمالهم لفصولهم ومن ثم إهمالهم للمواد الدراسية والمساعدة على تشويه صورة المدرس في نظر الطلاب وفي عيون المجتمع الذي سيستقبل خريجين أو جيلا بلا محتوى ومهزوزا في تركيبته العلمية ويتصف بالاستهتار وعدم المبالاة والاتكال على الغير.. يحمل صورة مشوهة عن الحياة تنعكس فيها السلبية على المجتمع من حوله.

إهمال متبادل

● في المقابل هناك مدرسون آخرون لايرون أن المدرسين هم السبب في هروب الطلاب من فصولهم

إغلاق الأبواب في وجو بتوجيهات وزارية وب

الثورة
الخميس ٢١ صفر ١٤٢٦هـ الموافق ٢١ مارس ٢٠٠٥م العدد (١٤٧٥٠)

تحقيقات